

حضرة سيدنا أبو علي الفضل بن محمد الفارمدي الطوسي

(رضي الله عنه)

نور حدقة العلماء العارفين ونور حديقة عظماء المرشدين شيخ خراسان وقطب ذلك الزمان، العارف الرحماني والمربي الرباني نصر الله وجهه وقدس الله سره، كان عالماً شافعيّاً وعارفاً صمدانياً متضلّعاً بمذهب السلف ذا خبرة بمناهج الخلف . وأما التصوف فذاك عشه الذي منه درج وغابه الذي ألفه ليثه دخله وخرج . تفقه على الغزالي الكبير وأبي عثمان الصابوني وغيرهما، وقال فيه المولى عبد الغافر رحمه الله كان شيخ عصره منفرداً بطريق في التذكير لم يسبق إليها في عبارته وتهذيبه وحسن تأديته وتأديبه ومليح إستعارته ودقيق إشارته ورقيق ألفاظه ووقع كلامه في القلوب، صحب القشيري وأخذ عنه حجة الإسلام الإمام الغزالي، وجد و إجتهد وكان ملحوظاً من القشيري بعين العناية موفراً عليه منه طريق الهداية حتى فتح عليه لوامع من أنوار المجاهدة وصار من مذكوري الزمان ومشهوري المشايخ .

وقال السمعاني كان لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقة الحسنة في تربية المريدين وكان مجلس وعظه روضة ذات أنواع من الأزهار، تلمذ لأبي القاسم القشيري في الموعظة

والتذكير ولأبي القاسم الكركاني وأبي الحسن الخرقاني الذي رباه فأحسن تربيته وصب في صدره الشريف العلم الذي صبه رسول الله ﷺ في صدر سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليكون وارثاً للسر الأعظم لرسول الله ﷺ وشيخاً لهذه الطريقة العلية، ونقل العارف الجامي قدس سره السامي نبذة من أحوال بداية هدايته فقال : (ومن كلامه) كنت في حال الشبوية مشغولاً بطلب العلم في نيسابور فسمعت أن الشيخ أبا سعيد بن أبي الخير قدس الله سره جاء من بلدة ميهنة وعقد مجلس وعظ، فذهبت إليه فلما وقع بصري على نور وجهه عشقته ووقع في قلبي محبة طائفة الصوفية العلية، فكانت يوماً في المدرسة فالتفت قلبي لرؤية جمال الشيخ قدس الله سره ولم يكن للشيخ عادة أن يخرج في ذلك الوقت فتربصت وتصبرت على ذلك، فلم أقدر على الصبر لحظة فقامت أقصد محل الشيخ فلما وصلت إلى أول السوق رأيت الشيخ ومعه جماعة كثيرة ذاهبين فتبعتهم وأنا غائب عن شعوري حتى دخلوا محلاً فدخلت معهم وجلست في زاوية من زوايا المحل مستتراً عن عين الشيخ فلما اشتغلوا بالسماع طرب الشيخ وتواجد وشق جيبته الشريفة حتى إذا فرغوا من السماع ألقى الشيخ الجبة في الأرض فأخذها المريدون وقطعوها إرباً إرباً ووضعوها بين يديه فحمل الشيخ كما متصلاً ببنيقة ووضعها على حدة ونادى يا أبا علي الطوسي فما أجبتة ظناً مني أن في مريديه أبا علي الطوسي غيري لأنه لم يكن يراني ثم نادى ثانية وثالثة كذلك فما أجبتة فأتاني واحد من جماعته وقال إن الشيخ يناديك، فحينئذ قمت ووقفت أمام الشيخ، فأعطاني

ذلك الكم مع البنيقة، وقال : أنت منا بمنزلة البنيق من الكم، فأخذتها وعظمتها وحفظتها في

مكان عزيز، وإتصلت بخدمة الشيخ وحصل لي منه فائدة فائقة وتجليات وأحوال وافرة

صادقة، ولما سافر الشيخ من نيسابور، رجعت إلى خدمة الشيخ أبي القاسم القشيري قدس الله

سره، وكنت كلما حصلت لي حال من الأحوال أذكرها له فيقول لي إذهب يا ولدي واشتغل

في تعلم العلم، ولم يزل ذلك الحال يزداد معي يوماً فيوماً وأنا مشغول بتحصيل العلم مدة

ثلاث سنين، فاتفق لي أني رفعت مرة القلم من الدواة فخرج أبيض، فقامت حتى وقفت أمام

الإمام القشيري وذكرت له ذلك الأمر، فقال لي قدس الله سره : حيث نزع العلم يده منك

فإنزع يدك منه والتفت للحال الذي أنت فيه وأسلك طريق القوم، فنقلت أمتعتي من المدرسة

إلى الخانقاه واشتغلت بخدمة هذا الأستاذ الإمام قدس الله سره ودخل الأستاذ يوماً إلى الحمام

فذهبت وحدي إلى الحمام وأخرجت عدة دلاء من ماء البئر وملأته، فلما خرج الأستاذ

القشيري منه قال من الذي ملأ الحمام؟ فسكت فقلت في نفسي : إنني فعلت قلة أدب فسأل مرة

ثانية، فما أجبته أيضاً فلما سأل الثالثة قلت له أنا ملأته . فقال : يا أبا علي أبشرك بأن ما

حصلته أنا في مدة سبعين سنة فقد حصلته أنت بدلو واحد . وإستولى علي مدة المجاهدة عند

الأستاذ القشيري يوماً حال لم أكن معها شيئاً مذكوراً . فذكرت له ذلك، فقال : يا أبا علي

ذوقي ما هو أعلى من هذا، يمكن أن يكون ذلك المقام أرفع من مقامي، وأنا لا أدري

طريقه. فلم أزل متشوقاً إلى شيخ يوصلني إلى أعلى من هذا مدة مديدة . وذلك الحال يزيد،

وقد كنت سمعت بالشيخ أبي القاسم الكركاني فتوجهت إلى طوس ولم أكن أعرف محله فلما وصلت إلى البلدة سألت عنه فوجدته جالساً في المسجد مع جماعة من مريديه. فصليت تحية المسجد وجلست أمامه وكان مطرقاً رأسه فرفع رأسه وقال : تعالى أبا علي فقامت وسلمت عليه ثم قعدت فذكرت له أحوالي، فقال : نعم بارك الله لك في بدايتك فإنك الآن واصل إلى أول درجة السلوك أما إذا حصلت لت تربية فإنك تصل إلى درجة عالية فقلت في نفسي : هذا أستاذي، ثم أقمت عنده فبعدهما أمرني بأنواع الرياضات والمجاهدات مدة مدية عقد لي على إبنته وأذن لي بالكلام على الناس . ثم توجهت بتوجيهه إلى إكمال تربيتي وخلواتي بترقي أحوالي إلى سيدنا أبي الحسن الخرقاني الذي تولاني بالرعاية والتربية فأكمل حالي إلى أن تحققت بالبقاء في الله بعد الفناء فيه .

وإنقل إليه السر الأعظم لرسول الله ﷺ من قلب سيدنا أبي الحسن الخرقاني وصب

في صدره الشريف ما صب له في صدره من صدّيقه وتولى بعده الإرشاد والتسليك

للمريدين والطالبين .

توفي قدس الله سره سنة أربعمائة وسبع وأربعين، وفارمدي نسبة إلى فارمد القرية من

قرى طوس رضي الله عنهم أجمعين . آمين . وانتقل هذا السر الأعظم وسر هذه النسبة

الشريفة منه إلى سيدنا الإمام يوسف الهمذاني رضي الله عنه .

سيدنا أبو علي الفارمدي

حياته المعنوية قدس الله سره

أبو علي الفارمدي بن محمد أعلى الله تعالى درجاته دائماً ولد في الحادي والعشرين من

جماد الأولى سنة 351 هـ يوم الخميس بين العصر والمغرب. وانتقل يوم الإثنين وقت طلوع

الشمس في الخامس من شهر صفر الخير سنة 447 هـ، وعمره 96 عاماً. وولادته وانتقاله

في بلدته " فرماد" من ولاية طوس من أرض بخارى .

فحني بلغ من العمر الثانية عشر وكان يلعب مع الصبيان وبالبرد القارص، في طرف

القرية وأثناء اللعب حضر هنالك عالم كامل ليس مثله في عصره (أبو القاسم الكركاني قدس

الله سره) مع طلاب كثر، فلما وصل لدى تلك الصبيان دخل بينهم وإختلط معهم لأجل اللعب

معهم، فقال له أبو علي لم تختلط معنا بهذا اللعب، ولم لا تكون مع أقرانك، فقال له أبو القاسم الكركاني: وأنت لم لا تكون مع أقرانك ولم تلعب مع هؤلاء الصبيان ؟ فقال أبو علي : أنا مع أقراني، فقال له أبو القاسم : فما المقام الذي وضعت فيه قدمك وما غفلة قولك، فقال أبو علي :

إنني تحت تصرف الله تعالى، فقال له لست في تصرف الله تعالى المحض ولو كنت كذلك لما يكون منك مثل هذا الكلام الذي يكون الندم عليه في يوم المحشر . فقال له أبو علي إن من يعلم ما أندم به يوم المحشر يعلم دواء أمراض الخفية وأيضاً يجب على من هو مأمور لإظهار الأمراض الخفية

أن يداويها . فقال له هذا الكلام قد صدر منك في موضعه . ثم قال أبو علي ألاي صح أن تنزل بضيافة هذا العاجز في هذه الليلة لطفاً ومرحمة فقال له هل يكون عندك القدرة للضيافة إن جئت مع جميع هؤلاء الطلاب، فقال : الحمد لله لي قدرة للضيافة وإن جئت مع جميع الموحدين على الأرض وهكذا ذهبوا كلهم إلى بيته وسار أبو علي أمامهم فلما وصلوا لدى بيته، لقيهم سيدنا الخضر عليه السلام والإمام الغزالي وأبو القاسم القشيري، فقالوا لأبي علي : أليس لنا الإذن لحضورنا إلى صحبتكم في هذه الليلة، وإن أبا علي لم يعلم أنه الخضر عليه السلام فقال لهم

نعم ولكن يكون من الصعب والمشقة على هذا الشيخ العاجز أن يقوم معنا في الصحبة إلى

وقت الصباح إشارة إلى سيدنا الخضر عليه السلام أي كيف يقدر الهرم (الخضر) لذلك

فقال

له الشيخ الكبير الهرم يا ولدي لم تقول قولاً ليس له أصل والكلام الذي ليس له الإسناد لا يكون صحيحاً وهل لا يكون الشيوخ أشد إحتياجاً إلى الصحبة، فقال أبو علي نعم فعلى هذا الكلام اللطيف دخلوا كلهم إلى بيته وإمتلئ بهم البيت وأيضاً حضر هنالك سائر أولياء طوس ثم قال الكركاني خطاباً للإمام الغزالي إشارة إلى أبي علي يا إمام غزالي لا تبصر عيونكم من هو أكمل

من هذا الولد فاستقيضوا منه، وقال أيضاً ابن عياض تحت تربية هذا الولد في هذه الساعة وقال أيضاً لا إيمان أن يكون في عصركم من يتكلم بكلام أعلى من كلام هذا الولد، فقال الإمام الغزالي إن ما تقول في حق هذا الولد هل هو ما يكون عليه بعد أو ما كان فيه في هذه الساعة، فقال الكركاني : الآن له الدرجة والقوة موافقاً على ما قلته، ثم دعى الإمام الغزالي هذا الولد

أمامه وقال له : من أي جنس أنت من أجناس الآدميين، فقال : أنا من إستدل لجميع العلوم الظاهرة بالعلوم الباطنة وللعلوم الباطنة بالعلوم الظاهرة .فحينئذ قال له الإمام الغزالي : فإن كان الأمر كما قلت يجب عليك أن تعلم وتفهم كلام الأولياء السلف والخلف وكلام من كانوا في هذا العصر، فقال نعم أعلم وأفهم، ثم قال له الغزالي : حقق كلامي بلا زيادة شيء على

هذه الألفاظ، فابتدأ الولد (أبو علي) للتكلم باللسان الجهوري وقال : يا إمام (أي إمام

الغزالي) أنت تكلمت مع موسى عليه السلام على صورة من يفعل المحاسن بزعمك رافعاً

رأسك صادراً منك حركات

لا أبالي، (أي يظهر منك مفهومها) مع أنه يلزم للولي مع النبي عليه السلام أن يتأدب

ويتذلل

من كل الوجوه ومن الواجب عليك أن تتكلم معه بالتواضع وخفض الرأس (وهذا الكلام من

أبي علي إشارة إلى ما وقع بينه (أي الإمام الغزالي) وبين سيدنا موسى عليه السلام) حين

كان في عالم الذر، فأجاب له الغزالي أنا من المحمديين، فقال له أبو علي إن ما ظهر لك من

النور المحمدي

هل هو أعظم أم ما ظهر منه للأنبياء أعظم، قال له الغزالي : إن نور شريعته الخاصة

المحمدية

لم يحصل لموسى وهذا شرف عظيم حصل لي بكوني في مشربه ε ، حينئذ قال أبو علي إن

وزن ما حصل لك من ذلك النور المحمدي مع ذلك النور المحمدي الذي حصل لموسى منه

أيهما أزيد، فحينها سكت الغزالي ثم قال الكركاني للإمام الغزالي كيف أثبت هذا الولد الدلائل

للظاهر

بالباطن وبالباطن بالظاهر، ثم قال الغزالي لأبي علي ألا يصح أن تتكلم بأوصافك من النهاية

فقال: له يا حجة الإسلام إن نهايتي أولاً إن عضة نملة واحدة في ما وراء جبل قاف (ق) والقرآن المجيد) نملة أخرى أصير بحيث لا أقدر القيام إلى الصلاة بغلبة المرحلة على ذلك الأمر وأبو علي صاحب هذا الخلق العظيم، وثانياً : لا أترك بين أجزاء الكائنات سواء الحيوانات أو غيرها كذلك ما به يكون القصاص من واحد لواحد يوم المحشر إلا بإجراء العدل في الدنيا بحيث لا يبقى قدر نقطة للحساب يوم الجزاء، فالحاصل يا حجة الإسلام إن تفكرت في هذا الكلام تجد فيه العلوم العجيبة مثل البحر المحيط وأنت عاجز عن الإطلاع إلى أساسه . فإن إمتحنت في هذا المذكور أي العدل وغيره تجد نور الشريعة جارياً في كل أجزائه، ومنذ ابتداء الاجتماع مع الكركاني ومع كونه في الثانية عشر من عمره يعد حاله نهاية وما قبله بداية .

ويفهم من هذا الكلام كون التربية له من الكركاني مع أنه ليس من النفسبنديين، ومعناه أن أبا علي حين كان بين الذرات قد وقع النظر الخاص إلى ذرته مع التربية من أبي الحسن الخرقاني وقت نظره إلى الذرات وحينها نقل جميع قوته وملكيته وكمالاته إليه ولأجل ذلك صار من

الأئمة العظام، وأما ما كان له من الكركاني لم يكن شيء يعتد به وإن أبا الحسن لم يجتمع معه جسمانياً ولم يقع له الإحتياج إلى التربية بالروحانية أيضاً بل حصل له الكفاية من كل

الوجه

بهذا النظر المذكور في عالم الذرّ.

شمائله : جسمه ضعيف، لحيته صفراء، صوته رفيع، لونه لون البر، عيناه مائلان إلى

الحمرة،

وحيث يضحك يظهر من فمه نور كنور الشمس ويخرج ذلك النور كالدخان ويراه جميع من

له أهلية على قدر درجاتهم، وبرائحته الطيبة يكون التربية لهم وأما من ليس له أهلية يرى

ذلك النور مثل الدخان الأسود ويكون رائحته لهم كريهة وتكون لهم مثل السم يوماً فيوماً

حتى

يقعون به في السكر .

ووقع بينه وبين الغزالي أسئلة وأجوبة من أسرار التوحيد والأسماء و أجابها أبو علي

بأجوبة حصل له بها حقيقة التوحيد، وإن أبا القاسم القشيري كان أستاذاً له في العلم الظاهر

وإن الكركاني لقنه بالذکر القلبي حتى يحصل له الأهلية لأثر ذلك النظر من الخرقاني، وإن

أبا علي ممن يعد إماماً في الطرائق السبعة لكونه إماماً فيها . وإن الرسول ع قال للغزالي

عندما ظهرت

له روحانيته ع إنك تجد مجالس العلوم ولكن لا تجد مجلساً مثل مجلس أبي علي من جهة

الكمالات وظهور العلم اللدني ووقوع رضائي صلوات الله عليه وسلامه، فاستفيضوا منه .

وبأنفاس أبي علي يكون الإرشاد لكل الموحدين وبنفس واحد من أنفاسه يحصل الزهد
من الدنيا والوصول إلى الله تعالى والذي لا يحصل للغير إلا بالرياضات الشاقة مقدار أربعين
سنة، ثم وقع له الإجتماع والصحبة مع سيدنا يوسف الهمداني ففي أول جمعية يحضر يوسف
الهمداني لديه قال قدس سره لأتباعه الآن يحضر هنا من يأخذ من يدي الحقائق الكبرى أي
الأمانات السبعة وأن أبا علي قد فعل الصحبة حين جاء يوسف الهمداني إلى الدنيا بفعل
المولد لجميع الأنبياء والأولياء الذين حضروا لمولده، وذلك بالكلام القديم ولسائر الأولياء
بوجه آخر . ومن الله التوفيق .